الدراية
مجلة علمية محكمة
تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

أسرار التذييل في سورة التحريم

الدكتور / إبراهيم سيد أحمد إبراهيم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

العدد الرابع عشر - الجزء الأول - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله نوراً ساطعاً برهانه، وفرقاناً صادعاً تبيانه، معجزاً على مر الدهور ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد.. الذى أرسله ربه – سبحانه – إلى خير أمة بأفضل كتاب، فأظهر من أسراره أنوار التبيان. ما أعجز الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فـ ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٢) .

ورضى الله عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. الذين لم يدخروا وسعاً، ولم يألوا جهداً في الإقبال على القرآن تلاوة ودراسة وتطبيقاً وعملاً، ففازوا ببركة القرآن في الدنيا، ووعدهم ربهم بشفعاته في الآخرة .

أما بعد ..

فإن من عاش وغاص في فهم معانى القرآن الكريم يجد أن لمختتم بعض آياته تذييلاً حكيماً، وتصويراً بليغاً، وتعبيراً دقيقاً يرقى بمستوى إدراك معانيه، وفهم مراميه إلى أعلى درجات البلاغة والفصاحة، ويؤكد ويثبت من

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٨.

(٢) سورة الإسراء: من الآية ٨٨ .

وجه دقيق ما ترمى إليه الآيات من المقاصد والأهداف، والحكم والفوائد بأبلغ أسلوب وأروع بيان، ويقرر أنه تنزيل من حكيم حميد .

يقول صاحب كتاب الصناعتين: (وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحاً، والمقصد اتضاحاً. وقد قال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع: الإشارة، والتذييل، والمساواة) [١] .

هذا، وللوقوف على بعض أسرار التذييل لآيات الذكر الحكيم فوائد وحكم. لا تُعدّ ولا تحصى، ومنها – على سبيل المثال لا الحصر:-

أولاً : تقرير المعنى المقصود من الآية وتأكيده بأبلغ توكيد .

ثانياً: إظهار لون دقيق من ألوان إعجاز القرآن الكريم .

ثالثاً: إعمال العقل، وشحذ الفكر في فهم ألفاظ القرآن الكريم ومختتم آياته.

رابعاً: إثبات تفاوت الأفهام في فهم كلام الله عز وجل على مر العصور، ليبقى القرآن معجزاً لكل جيل وعصر، لا يخلق عن كثرة الرّد[٢]، ولا تنقضى عجائبه، بل يعطى لكل دارس بحسب إخلاصه لربه، وهمته في دراسته .

---

(١) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبى هلال العسكرى ص٤١٣، ط/ دار الكتب العلمية .

(٢) جزء من حديث أخرجه الدارمى في سننه / باب فضل من قرأ القرآن جـ٤ ص٢٠٩٩رقم ٣٣٧٥، ط/ دار المغنى، (**لَا يَخْلُقُ**) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ اللَّامِ، وَبِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ: مِنْ خَلُقَ الثَّوْبُ إِذَا بَلِيَ وَكَذَلِكَ أَخْلَقَ،(**عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**) أَيْ لَا تَزُولُ لَذَّةُ قِرَاءَتِهِ، وَطَرَاوَةُ تِلَاوَتِهِ، وَاسْتِمَاعُ أَذْكَارِهِ وَأَخْبَارِهِ مِنْ كَثْرَةِ تكراره راجع: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى جـ٨ ص١٧٧، ط/ دار الكتب العلمية ، وقال: هذا حديث غريب وإسناده مجهول .

فأردت أن أسهم بجهد ضئيل في تجلية هذا الموضوع، وتسليط الضوء على هذا المبحث البلاغي لما له من أثر عظيم في إدراك المعاني المستترة تحت هذا التركيب، إيماناً بأن كل شيء في القرآن لا يأتى عبثاً ولا فضلة، وإنما هو تشكيل لغوى لإنتاج الدلالات، فجاء بحثى تحت عنوان (أسرار التذييل في سورة التحريم) .

وكانت سورة (التحريم) من بين سور القرآن الكريم لاشتمال آياتها على الأحكام والتوجيهات العامة، المتضمنة-مصالح المجتمع الإسلامي المتمثل في بيت النبوة، ومن ثمّ جاء التذييل في آيات السورة الكريمة لتوضيح وبيان تلك الأحكام، ولذلك كان منطلقاً للدراسة .

خطة البحث :

رأيت أن الخطة المناسبة لهذا البحث- وفق تصورى- ينبغي أن تكون على النحو التالي : **مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة** .

المقدمة : أ) سبب اختيار الموضوع وأهميته .

ب) خطة البحث وأهدافه ، ومنهجى فيه .

التمهيد : ويشتمل على:

أولاً: تعريف التذييل، وبيان-أقسامه، والفرق بينه وبين بعض الألفاظ الأخرى المتقاربة معه .

ثانياً: بين يدىّ سورة التحريم .

المبحث الأول: أسرار التذييل في الآيات (١-٦) وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

المطلب الثاني: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

المطلب الثالث: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

المطلب الرابع: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾

المطلب الخامس: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

المبحث الثاني: أسرار التذييل في الآيات (٧-١٢) وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

المطلب الثاني: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

المطلب الثالث: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

المطلب الرابع: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾

المطلب الخامس: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾

وأما الخاتمة: فضمنتها: أهم نتائج البحث وتوصياته، وفهرس المصادر والمراجع .

منهج البحث:-

يتمثل منهجي في هذا البحث فيما يلى:

١- تتبع الآيات القرآنية الكريمة في سورة التحريم ، واستخراج ما ذُيل منها، وذلك بناءً على التعريف الذى ارتضيناه للتذييل، والآتي ذكره- إن شاء الله تعالى - في التمهيد .

٢- ذكر مناسبة الآية لما قبلها، والمعنى الإجمالي بإيجاز.

٣- ذكر سبب النزول الصحيح للآية - إن وجد .

٤- تتبع وعرض أقوال المفسرين وغيرهم الذين تكلموا عن حكمة تذييل الآية وأسراره .

وقد اعتمدت في ذلك على كتب التفسير وغيرها مما يحقق خدمة هذا البحث، ويخرجه بصورة لائقة، وسلكت فيما قصدت إليه مسلكاً وسطاً بين الإجمال والتفصيل . كما قمت بعزو النصوص إلى مراجعها، موثقاً لها من أكثر من مرجع ومصدر.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القصد، والقبول في العمل، والسداد في الفهم، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١) .

(١) سورة هود: الآية ٨٨ .

التمهيد

أولاً: تعريف التذييل – أقسامه – الفرق بينه وبين بعض الألفاظ الأخرى المتقاربة معه

يجدر بنا قبل أن نخوض غمار هذا البحث أن نشير إلى "تعريف التذييل" – لكى يكون القاعدة التي من خلالها ننطلق تأسيساً في بحثنا هذا، ونبين أقسامه، ونذكر الفرق بينه وبين بعض الألفاظ الأخرى المتقاربة معه .

١- تعريف التذييل:

التذييل في اللغة: الذَّيْلُ آخر كل شيء ، وذيل الثوب والإزار: ما جر منه إذا أسبل، وذال الرجل يذيل ذيلاً: تبختر فجر ذيله، والجمع أذيال وذيول وأذيل، وجاء أذيال من الناس: أي أواخر منهم قليل(١).

ويقول الزركشي في البرهان: (التذييل مصدر "ذيّل" للمبالغة، وهى لغة: جعل الشيء ذيلاً للآخر)(٢).

أما التذييل في الاصطلاح: فهو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول، تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه، ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه. كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ (٣)، أي هل يجازى

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظورجـ١١ص٢٦٠، ط/ دار صادر، وتاج العروس للزبيدىجـ٧ ص٣٣١،٣٣٢ مادة: ذيل، ط/ منشورات مكتبة الحياة .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشى جـ٣ ص٦٨، ط/ دار إحياء التراث .

(٣) سورة سبأ: الآية ١٧.

ذلك الجزاء الذى يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة .

وقوله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١).

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (٢).

وقولـــــه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٣). إلى غير ذلك من الآيات، وهو كثير في القرآن .

ويقول أبو هلال العسكرى: (التذييل: هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وينبغى أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطئ الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللّقن، وصح للكليل البليد)(٤).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٣) سورة فاطر: الآيتان ١٣، ١٤، وراجع: البرهان في علوم القرآن للزركشى جـ٣ ص٦٨،٦٩، والاتقان في علوم القرآن للسيوطى جـ٢ ص٧٤، وإعجاز القرآن للباقلانى جـ١ ص١٣٨، مطبوع بهامش الاتقان للسيوطى .

(٤) كتاب الصناعتين ص٤١٣، وراجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبى الأصبع ص٣٨٧، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وخزانة الأدب وغاية الأرب لتقى الدين الحموى جـ١ ص٢٤٢، ط/ دار ومكتبة الهلال.

وبالنظر فيما سبق يتجلى لنا أن جميع العلماء اتفقوا على مفهوم التذييل، وإن اختلفت عباراتهم وألفاظهم فالمعنى واحد، ولا يضر اختلاف الأساليب. فالتذييل من صور الإطناب، وضرب من التأكيد، وباب من البديع، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذا ما سوف يظهر لنا من خلال ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى .

٢- أقسام التذييل:

ذهب ابن أبى الأصبع إلى أن التذييل على قسمين:

قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق.

وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله .

ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز - متضمناً القسمين معاً- قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

ففي هذه الآية الكريمة تذييلان: أحدهما قوله تعالى﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ فإن الكلام قد تم قبل ذلك، ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقق ما قبلها .

والآخر قوله سبحانه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثان للتذييل الأول.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

وقد جاء في السنة من هذا الباب قوله - ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى-: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة" وزاد في رواية "ومحاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالك"(١) فقوله "ولا يهلك على الله إلا هالك" تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل .

ومن هذا الباب في الشعر قول النابغة الذبياني:

ولستَ بمُستبق أخاً لا تلمّه على شعث، أىّ الرجال المهذَّبُ؟ (٢)

فقوله "أى الرجال المهذب" ؟ من أحسن تذييل وقع في الشعر.

وكقول بعض العرب:

فدعوا نَزالِ فكنت أولَ نازل وعلامَ أركبُه إذا لم أنزل(٣)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان / باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت، وإذا همّ بسيئة لم تكتب جـ٢ ص٣٢٩ حديث رقم ٣٣٦ .

(٢) البيت من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه . راجع: ديوان النابغة الذبياني ص٧٤، ط/ دار المعارف، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ١٨٥، ط/ محمد على صبيح وأولاده .

(٣) البيت لربيعة بن مقروم الضَّبى: من شعراء الحماسة، ومن مخضرمى الجاهلية والإسلام . راجع: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى جـ٥ ص٤٩، ط/ مكتبة الخانجى، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لإميل يعقوب جـ٦ ص٤٩٨، ط/ دار الكتب العلمية .

فعجز هذا البيت كله تذييل حسن، وكلا التذييلين من بيت الأعرابى وبيت النابغة من القسم الثاني من التذييل[١].

٣- الفرق بين التذييل وبعض الألفاظ المتقاربة معه:

وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة:

وهى باب الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذييل، فأشير إلى الفرق بينهما فيما يلى:

أ) **الفرق بين التذييل والتكميل:** التكميل وإن كان مما يأتي بعد تمام المعنى كالتذييل إلا أنه يفارقه ويغايره من وجه: وهو أن التكميل يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم، إما تكميلاً بديعياً، أو تكميلاً عروضياً. أما التذييل فلا يخرج عن معنى الكلام المتقدم، وإنما يفيد تحقيقه وتوكيده .

ب) **الفرق بين التذييل والإيغال:** أن الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الرّوىّ وما يتعلق بها، أما التذييل فيزيد على الكلمة التي تسمى إيغالاً.

أما التمكين فيفارق هذه الأبواب من كونه عبارة عن: استقرار القافية في مكانها، لكنها لا تزيد على معنى البيت شيئاً [٢].

---

(١) راجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ص٣٨٧، ٣٨٨ .

(٢) راجع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ص ٣٩١، ٣٩٢ باختصار وتصرف، وخزانة الأدب وغاية الأرب جـ١ ص٢٤٢ .

وإتماماً للفائدة نذكر تعريف الفاصلة:

يقول الزركشى في البرهان: (الفاصلة: هى كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال الدانى: كلمة آخر الجملة، وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعانى، وفرق الدانى بين الفواصل ورؤوس الآى) (١) .

هذا، ولا يتسع المقام لاستعراض الفروق بين التذييل وبين بقية الألفاظ الأخرى المتقاربة معه، لأنها كثيرة ومتعددة، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى مظانها (٢) .

ثانياً: بين يدىّ سورة التحريم

حرىّ بنا قبل أن نشرع في ذكر حِكم وأسرار التذييل في سورة التحريم أن نشير إلى أمور مهمة تتعلق بها، وقبل مناقشة تلك الأمور نستهل هذة السورة الكريمة بتلاوة آياتها ترطيباً للألسنة، وتطهيراً للأفئدة، وتعطيراً للأفواه، وجلاءً للأحزان، وذهاباً للغموم والهموم . قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشى جـ١ ص٥٣ .

(٢) راجع: كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ١٩٩، وكتاب البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص١٨٤، ط/ دار الكتب العلمية .

بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ
إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن
يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ
عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا
وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ
وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ
مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا
ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ
إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

سورة التحريم:(١-١٢)

١- تسميتها:

أما من حيث تسمية هذه السورة الكريمة فلها عدة أسماء ذكر منها الآلوسى ما يلى: (ويقال لها: سورة المتحرم، وسورة لمّ تحرم، وسورة النبى ﷺ ، وعن ابن الزبير" سورة النساء ") [١] .

وقال ابن عاشور: (سُمِّيَتْ « سُورَةَ التَّحْرِيمِ » فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ « لِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » تَسْمِيَتُهَا بِاسْمِ « سُورَةِ اللِّمَ تُحَرِّمُ ؟» بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَفِي « الْإِتْقَانِ » وَتُسَمَّى « سُورَةَ اللِّمَ تُحَرِّمُ » ، وَفِي « تَفْسِيرِ الْكَوَاشِيِّ » أَيْ بِهَمْزَةِ وَصْلٍ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَكْسُورَةً وَبِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ التَّاءِ مُحَقَّقَةً وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَكْسُورَةً بَعْدَهَا مِيمٌ عَلَى حِكَايَةِ جُمْلَةِ لِمَ تُحَرِّمُ وَجَعْلِهَا بِمَنْزِلَةِ الِاسْمِ وَإِدْخَالِ لَامِ تَعْرِيفِ الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِدْغَامِ اللَّامَيْنِ) [٢] .

---

(١) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لشهاب الدين الآلوسى جـ ١٤ ص٣٤١، ط/ دار الكتب العلمية .

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور جـ ٢٨ ص٣٤٣، ط/ الدار التونسية ، وراجع: الإتقان في علوم القرآن جـ١ ص١٩٥، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢- مدنيّتها:

أما من حيث مكيّتها ومدنيّتها فقد اتفق الجمهور على أنها مدنية ، وشذ البعض حيث جعل المدنى منها إلى العشر آيات الأُول وأما الآيتان الآخيرتان فهما مكيتان ، وهذا مخالف لرأى الجمهور .

قال ابن عاشور: (وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَتَبِعَهُ الْقُرْطُبِيُّ . وَقَالَ فِي «الْإِتْقَانِ» عَنْ قَتَادَةَ: إِنَّ أَوَّلَهَا إِلَى تَمَامِ عَشْرِ آيَاتٍ وَمَا بَعْدَهَا مَكِّيٌّ،كَمَا وَقَعَتْ حِكَايَةُ كَلَامِهِ.وَلَعَلَّهُ أَرَادَ إِلَى عَشْرِ آيَاتٍ)[١]

وكان نزولها بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة ، ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة التحريم في ذلك التاريخ أيضاً ، فهى السورة الخامسة بعد المائة بالنسبة لترتيب نزول السور القرآنية ، أما ترتيبها في المصحف فهى السورة السادسة والستون [٢] .

وعدد آياتها اثنتا عشرة آية اتفاقاً . قال النيسابورى:(حروفها ألف وستون، كلماتها مائتان وتسع وأربعون، آياتها اثنتا عشرة آية) [٣] .

---

(١) التحرير والتنوير جـ ٢٨ ص٣٤٣، وراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد بن عطية جـ٥ ص٣٢٩، ط/ دار الكتب العلمية، والجامع لأحكام القرآن، لأبى محمد القرطبى جـ١٨ص١٧٧، ط/ دار الكتب المصرية .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوى جـ ١٤ ص٤٦٥، ط/ دار نهضة مصر، والموسوعة القرآنية (خصائص السور) لجعفر شرف الدين جـ١٠ ص٥١، ط/ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابورى جـ ٦ ص٣١٨، ط/ دار الكتب العلمية .

٣- مناسبتها لما قبلها:

أما مناسبة هذه السورة بما سبقتها فقد ذكر الفخر الرازي علاقة أول سورة التحريم بأول سورة الطلاق وآخرها على النحو التالي:

(**أَمَّا التَّعَلُّقُ بِمَا قَبْلَهَا**: فَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْأَحْكَامِ الْمَخْصُوصَةِ بِالنِّسَاءِ، وَاشْتِرَاكُ الْخِطَابِ بِالطَّلَاقِ فِي أَوَّلِ تِلْكَ السُّورَةِ مَعَ الْخِطَابِ بِالتَّحْرِيمِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ لِمَا كَانَ الطَّلَاقُ فِي الْأَكْثَرِ مِنَ الصُّوَرِ أَوْ فِي الْكُلِّ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْبَعْضِ مُشْتَمِلًا عَلَى تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ .

وَأَمَّا الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ: فَلِأَنَّ الْمَذْكُورَ فِي آخِرِ تِلْكَ السُّورَةِ ، يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَكَمَالِ علمه، لما كان خلق السموات وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِمَا وَعَظَمَةُ الْحَضْرَةِ مِمَّا يُنَافِي الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾) [1] .

٤- ما اشتملت عليه من أهداف ومقاصد:

هذه السورة المدنية تتضمن بعض أحكام التشريع الخاصة بأمهات المؤمنين لتكون نموذجاً يحتذي لجميع الأمة .

أ) ابتدأت السورة بعتاب لطيف للنبي صلى الله عليه وسلم على تحريمه على نفسه شيئاً مباحاً وهو العسل كما ثبت في الصحيح إرضاء لبعض أزواجه، وأن من حلف على يمين فرأى حِنثها خيراً من بِرها أن يكفر عنها ويفعل الذى هو خير. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لأبى عبدالله محمد الرازى جـ ٣٠ ص٥٦٨، ط/ دار إحياء التراث العربى، وراجع: روح المعانى جـ ١٤ ص٣٤١ .

مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ الآيتان ١، ٢ .

ب) ثم وجّهت العتاب لبعض أزواج النبي لإفشائهن السرّ حين أسرّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته حفصة، فأخبرت به عائشة، مما أغضب النّبي صلى الله عليه وسلم، وهمّ بتطليق أزواجه، وهدّدهن الله بإبداله أزواجاً خيراً منهن. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ الآيات ٣ : ٥ .

ج) وناسب هذا التذكير باتقاء أهل بيت الإيمان النار والترهيب من الجزاء، وبالتوبة النصوح، وبجهاد الكفار والمنافقين من غير انشغال بأحوال البيت والأسرة من أزواج وأولاد. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ الآيات ٦ : ٩ .

د) وختمت السورة بضرب مثلين عظيمين: أحدهما للكافرين، والثاني للمؤمنين، والأول مثل الزوجة الكافرة: امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، عند الرجل المؤمن الصالح، والثاني مثل الزوجة المؤمنة: امرأة فرعون، عند الرجل الكافر الفاجر، ومثل المرأة الحرة التقية البتول في غير عصمة أحد، تنبيهاً للناس على وجوب اعتماد الإنسان على نفسه، وأنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع حسب ولا نسب إذا ساء العمل [1] . قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الآيات ١٠ : ١٢ .

وأشار الفيروزآبادى إلى مقصود سورة التحريم على وجه الإجمال فقال: (معظم مقصود سورة التحريم ما يأتي: عتاب الرسول ﷺ في التحريم والتحليل قبل ورود وحي سماويّ، وتعيير الأزواج الطّاهرات على إيذائه وإظهار سرّه ، والأمر بالتحرّز والتجنّب من جهنّم ، والأمر بالتوبة النصوح ، والوعد بإتمام النور في القيامة ، والأمر بجهاد الكفار بطريق السياسة ، ومع المنافقين بالبرهان والحجّة ، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د/ وهبة الزحيلى جـ ٢٨ ص٣٠١ بتصرف ، ط/ دار الفكر المعاصر .

والمعرفة ، وأنّ قرب المفسدين لا يضرّ مع وجود الصدق والإخلاص، والخبر عن صدق إيمان امرأة فرعون، وتصديق مريم) [١] .

فسورة التحريم تصور لنا صورة واقعية من الحياة البشرية لبيت النبوة بين الرسول وأزواجه وبين الزوجات بعضهن مع بعض .. هذا بالإضافة إلى ما ينبغي على المجتمع الإسلامي أن يتعلمه من بيت النبوة الشريف في العلاقات الإنسانية الاجتماعية . وقد أشار سيد قطب – رحمه الله– إلى بعض ما قلناه بما يلى:

(وهذه السورة تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته– صلى الله عليه وسلم– وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك.. ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه) [٢] .

---

(١) الموسوعة القرآنية جـ١٠ ص٤٨، وراجع: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى جـ١ ص٤٧١، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) في ظلال القرآن، للأستاذ/ سيد قطب جـ٦ ص٣٦١٠، ط/ دار الشروق .

المبحث الأول

أسرار التذييل في الآيات (١- ٦)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

المطلب الثاني: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

المطلب الثالث: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

المطلب الرابع: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

المطلب الخامس: سر التذييل بقول الله عز وجل﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

المطلب الأول

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

سبق أن ذكرنا مناسبة وعلاقة أول سورة التحريم بأول سورة الطلاق وآخرها في التمهيد . فراجعه إن شئت .

سبب النزول:

اختلف العلماء في سبب نزول صدر سورة التحريم على أقوال شتى نوجز بعضها مشيرين إلى ما فيها من علل أدت إلى عدم قبولها، ثم نورد الرأي المختار مرجحين إياه إن شاء الله رب العالمين . فنقول وبالله التوفيق:

إن من بين ما قيل في سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة: ما رواه السيوطي بقوله: (أخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة فجاءت فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نسائك ؟ قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة ، واكتمي هذا عليّ ، فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ تُحَرِّمُ ..... الآيات)[1] .

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطى جـ١ ص٢٠٠، ط/ دار الكتب العلمية، وراجع: أسباب النزول للواحدى جـ١ ص٤٣٨، ط/ دار الإصلاح ، والمعجم الأوسط للطبرانى جـ٣ ص١٣، ط/ دار الحرمين .

فأنت ترى في بداية النص السابق ضعف سند هذه الرواية ، هذا فضلاً عما ذكره البعض بأن سبب النزول هذا الوارد بشأن مارية عند حفصة رضى الله عنهما ينسب إلى الفقهاء [١] .

قالوه في كتب الفقه ولم ينسبه أحد إلى الصحيحين أو أحدهما ، ونحن نرى عدم الاعتداد بهذا الرأى ولا نقول به في سبب النزول، وإن كان وارداً في أكثر كتب التفسير، إلا أن من ذكره لا يخلو من الكلام فيه. ذكر القرطبي ما نصه: (قُلْتُ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي حَفْصَةَ لَمَّا خَلَا النَّبِيّ ﷺ فِي بَيْتِهَا بِجَارِيَتِهِ، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ) [٢] .

وقد شذ البعض وجعل سبب نزول أول سورة التحريم حديث الواهبة التى وهبت نفسها لرسول الله ﷺ ، وهذا أبعد ما يكون عن سبب النزول، كما أشار السيوطى إلى هذا القول وحكم عليه بالغرابة وضعف السند فقال: (وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ غريب أيضاً وسنده ضعيف) [٣] .

... إلى غير ذلك من الأقوال التى قيلت في سبب نزول صدر هذه السورة ، والتي ننأى عن ذكرها هنا لعدم قبولها .

---

(١) قال النووى: " وفى كتب الفقه أنها نزلت في تحريم مارية " . صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص١١٠٠، ط/ دار إحياء التراث العربى .

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبى جـ ١٨ ص١٨٤ .

(٣) لباب النقول للسيوطى جـ ١ ص٢٠٠ .

القول الراجح في سبب النزول:

ذهب أهل الحديث وغيرهم من العلماء إلى ترجيح الرواية التى ذكرت أن الرسول ﷺ شرب عسلاً عند زينب بنت جحش رضى الله عنها ، ونحن نرجح هذا الرأى لما يلى:

أولاً: ما كانت عليه زينب رضى الله عنها من الوضاءة والجمال مما أدى إلى غيرة بعض الزوجات منها .

ثانياً: ما كانت عليه من الحسب والنسب فضلاً عن قرابتها التى حباها الله إياها من النبى ﷺ .

ثالثاً: قوة الرواية وصحتها، لأنها واردة في الصحيحين ، ونحن نسوقها كما رواها الشيخان واللفظ لمسلم: (حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، يُخْبِرُ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ، تُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، قَالَتْ: فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ[1]ؕ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: « بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ »، فَنَزَلَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ .... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ

---

(١) اتفق العلماء على بيان هذا اللفظ ، وذكر صاحب اللسان وغيره بأن **المَغَافير** : بفتح الميم والغين المعجمة وبياء بعد الفاء- على ما صوبه القاضي عياض- جمع مُغفور بضم الميم وهو (صمغٌ يَسِيلُ مِنْ شَجَرِ الْعُرْفُطِ غَيْرَ أَن رَائِحَتَهُ لَيْسَتْ بِطَيِّبَةٍ) راجع كل من: شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٢ ص١١٠٠، وفتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر جـ٩ ص٣٧٧، ط/ دار المعرفة ، وروح المعانى جـ١٤ ص٣٤٢، ولسان العرب لابن منظور جـ٥ ص٢٨ .

بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ لِقَوْلِهِ: « بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا ») [١] .

ثم علق النووى مرجحاً لهذه الرواية على ما سواها فقال: (الصحيح في سبب نزول الآية: إنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروى في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح، وقال النسائي إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية . هذا آخر كلام القاضي، ثم قال القاضي بعد هذا: الصواب أن شرب العسل كان عند زينب) [٢] .

هذا وقد حاول الحافظ ابن حجر بعد حصره بعض الطرق لرواية (وطأ مارية عند حفصة) الجمع والتوفيق بين هذه الطرق ورواية (شرب العسل عند زينب) رضى الله عن الجميع ، وقد عبر بلفظ الاحتمال في تعدد الأسباب لسبب نزول صدر سورة التحريم فقال: (وَهَذِهِ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي السَّبَبَيْنِ مَعًا) [٣] .

القول الراجح فيما حرمه النبى ﷺ على نفسه :

لقد اختلف بعض العلماء في تعيين الشيء الذى حرمه الرسول ﷺ على نفسه هل هو العسل ؟ أو وطء أمته مارية ؟ وربما غير ذلك .

أشار إلى هذا الاختلاف الطبري فقال: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على نفسه شيئًا كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شرابًا من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي / كتاب الطلاق – باب وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَى مَنْ حَرَّمَ امْرَأَتَهُ ولم ينو الطلاق جـ ١٠ص٧٣ ح ١٤٧٣، وصحيح البخاري بشرح فتح الباري/كتاب الطلاق – باب لم تحرم ما أحل الله لك جـ٩ ص٣٧٧ ح٥٢٦٧ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢ ص١١٠٠ ح ١٤٧٤ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٨ ص٦٥٧ .

فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه .

فإن قال قائل: وما برهانك على أنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان حلف مع تحريمه ما حرم، فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في ذلك غير التحريم، وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته، أو لطعام أو شراب: هذا عليّ حرام يمين، فإذا كان ذلك غير معقول، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له: هو عليّ حرام. وإذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلنا، وفسد ما خالفه .

وبعد فجائز أن يكون تحريم النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما حرم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره ، أحله له بيمين، فيكون قوله: (لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ) معناه: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه، فتحرّمه على نفسك باليمين . وإنما قلنا: إن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حرم ذلك، وحلف مع تحريمه) [1] . والراجح ما قدمناه من امتناعه من شرب العسل .

---

(١) جامع البيان في تأويل آى القرآن، لابن جرير الطبرى جـ٢٣ ص٤٨٠ بتصرف ، ط/ مؤسسة الرسالة، وراجع: تفسير القرطبى جـ١٨ ص١٧٧، والفتوحات الإلهية للجمل جـ٤ ص٣٦٤، ط/ دار إحياء الكتب العربية ، وروح المعانى جـ١٤ ص٣٤٢،٣٤١، وتفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير جـ٨ ص١٨١،١٨٠، ط/دار الكتب العلمية .

قال ابن العربى:(وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ أَنَّ التحريم كَانَ فِي الْعَسَلِ، وَأَنَّهُ شَرِبَهُ عِنْدَ زَيْنَبَ، وَتَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ فِيهِ، وَجَرَى مَا جَرَى، فَحَلَفَ أَلَّا يَشْرَبَهُ، وَأَسَرَّ ذَلِكَ، وَنَزَلَتْ الْآيَةُ فِي الْجَمِيعِ) [١] .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة :

افتتح الله – سبحانه وتعالى – السورة الكريمة بتوجيه النداء إلى النبي ﷺ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ وفى توجيه النداء إليه ﷺ تنبيه إلى أن ما سيذكر بعد النداء شيء مهم بالنسبة له ولسائر المسلمين .

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ للنفي المصحوب بالعتاب منه سبحانه لنبيه ﷺ ، فالسورة ابتدأت بعتاب لطيف للنبي ﷺ على تحريمه على نفسه شيئاً مباحاً، وهو العسل كما ثبت في الصحيح إرضاءً لبعض أزواجه .

والمعنى: يا أيها الرسول الكريم لماذا حرمت على نفسك ما أحله الله تعالى لك من شراب أو غيره؟ أفعلت ذلك من أجل إرضاء أزواجك؟ إنه لا ينبغي لك أن تفعل ذلك ، لأن ما أباحه الله تعالى لك لا يصح أن تحرمه على نفسك أو أن تمتنع عن تعاطيه، فتشق على نفسك من أجل إرضاء غيرك [٢] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه:﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، فقد ختمها الله بمسك الختام بالمغفرة والرحمة .

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي جـ٤ ص٢٩٤، ط/ دار الكتب العلمية .

(٢) راجع: التفسير المنير جـ٢٨ ص٣٠١، والتفسير الوسيط ، للدكتور/ محمد سيد طنطاوي جـ٤ ص٤٦٧، ٤٦٨ بتصرف .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلي:

قال الطاهر ابن عاشور: (وَذُيِّلَ بِجُمْلَةِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استئناساً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَحْشَةِ هَذَا الْمَلَامِ، أَيْ: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَكَ. مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [١]) [٢] .

وقد اختلف بعض المفسرين حول ما صدر منه ﷺ من التحريم: هل يعد ذلك ذنباً أم لا ؟ والصحيح أنه خلاف الأولى . أشار إلى هذا القرطبي في ختام الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غَفُورٌ لِمَا أَوْجَبَ الْمُعَاتَبَةَ، رَحِيمٌ بِرَفْعِ الْمُؤَاخَذَةِ . وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ ذَنْبًا مِنَ الصَّغَائِرِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُعَاتَبَةٌ عَلَى تَرْكِ الْأَوْلَى، وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَغِيرَةٌ ولا كبيرة) [٣] .

والعتاب على خلاف الأولى فيه إجلال لمقام نبوته وسمو قدره ورفعة شأنه عليه الصلاة والسلام . كما ذكر هذا العلامة الآلوسي في تذييل الآية بقوله : ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيه تعظيم لشأنه صلّى الله عليه وسلم، بأن ترك الأولى بالنسبة إلى مقامه السامي الكريم يعد كالذنب وإن لم يكن في نفسه كذلك، وأن عتابه صلّى الله تعالى عليه وسلم ليس إلا لمزيد الاعتناء به) [٤] .

وقال صاحب الظلال: (تبدأ السورة بهذا العتاب من الله سبحانه لرسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ وهو عتاب مؤثر

---

(١) سورة التوبة : من الآية ٤٣ .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٢٨ ص٣٤٧ .
(٣) أحكام القرآن للقرطبى جـ ١٨ ص١٨٤ .
(٤) روح المعانى للآلوسى جـ١٤ ص٣٤٣ .

موح . فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع . والرسول- صلى الله عليه وسلم- لم يكن حرم الشيء الذى حرمه على نفسه بمعنى التحريم الشرعي، إنما كان قد قرر حرمان نفسه . فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله الله حلالاً فلا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصداً إرضاء لأحد...

والتعقيب: بـ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .. يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة، وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته . وهو إيحاء لطيف) [١] .

وقال صاحب التفسير الوسيط حول هذا التذييل الكريم: (وقوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه من وقع هذا اللوم، ومن أثر هذا العتاب، وإرشاد له صلى الله عليه وسلم بأن ما فعله داخل تحت مغفرة الله- تعالى- ورحمته ، أي: والله- تعالى- واسع المغفرة والرحمة وقد غفر لك- بفضله وكرمه ما فعلته بسبب بعض أزواجك، وجعلك على رأس من تظلهم رحمته) [٢] .

إلى غير ذلك من الأسرار المتعددة الكامنة في هذا التذييل، ويجدر بنا أن نشير إلى أن هاتين الصفتين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قد وردتا على صيغة المبالغة . مما يدل على دقة وعمق ولطف التعبيرات القرآنية .

قال الغزالى في " المقصد الأسنى" :(الغفور: بِمَعْنى الْغفار وَلكنه بِشَيْء يُنبئ عَن نوع مُبَالغَة لَا يُنبئ عَنْهَا الْغفار، فَإِن الْغفار مُبَالغَة فِي

(١) في ظلال القرآن ، للأستاذ/ سيد قطب جـ٦ ص٣٦١٥ بتصرف .
(٢) التفسير الوسيط ، د/ سيد طنطاوى جـ١٤ ص٤٦٨ .

الْمَغْفِرَة بِالْإِضَافَة إِلَى مغْفرَة متكررة مرّة بعد أُخْرَى، فالفعال يُنبئ عَن كَثْرَة الْفِعْل والفعول يُنبئ عَن جودته وكماله وشموله، فَهُوَ غَفُور بِمَعْنى أَنه تَامّ الْمَغْفِرَة والغفران كاملها حَتَّى يبلغ أَقْصَى دَرَجَات الْمَغْفِرَة) [1] .

وهكذا تتجلى لنا بعض الأسرار العظيمة، والحكم الجليلة في التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث جاء مناسباً لما جاء في الآية الكريمة من لوم وعتاب للنبي عليه الصلاة والسلام .

المطلب الثاني

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ختم المولى سبحانه وتعالى الآية السابقة بالمغفرة والرحمة علل أو بيّن ذلك بقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ..... الآية .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [2] .

---

(١) المقصد الأسني في شرح معانى أسماء الله الحسنى، لأبى حامد الغزالى جـ١ ص١٠٥، ط/ دار الجفان والجابى - قبرص .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٨٩ .

﴿ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ أي: متولي أموركم، ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم .

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو﴿ ٱلْحَكِيمُ﴾ في جميع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم [١] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهى مقررة لمضمون ما قبلها ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلى :

قال العلامة ابن عاشور: (وَجُمْلَةُ ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ تَذْيِيلٌ لِجُمْلَةِ ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ وَالْمَوْلَى: الْوَلِيُّ، وَهُوَ النَّاصِرُ، وَمُتَوَلِّي تَدْبِيرِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ، وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الرؤوف وَالْمُيَسِّرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [٢] .

وَعُطِفَ عَلَيْهَا جُمْلَةُ ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أَيِ: الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ فَيَحْمِلُكُمْ عَلَى الصَّوَابِ وَالرُّشْدِ وَالسَّدَادِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِيمَا يَشْرَعُهُ، أَيْ: يُجْرِي أَحْكَامَهُ عَلَى الْحِكْمَةِ . وَهِيَ إِعْطَاءُ الْأَفْعَالِ مَا تَقْتَضِيهِ حَقَائِقُهَا دُونَ الْأَوْهَامِ وَالتَّخَيُّلَاتِ) [٣] .

---

(١) راجع: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير جـ١ ص٥٦٠ باختصار، ط/ مجمع الملك فهد، وتفسير السعدى(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن السعدى جـ١ ص٨٧٢ باختصار وتصرف، ط/ مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٨٥ .

(٣) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٤٨ .

وحول ما جاء في ختام هذه الآية الكريمة من الصفات المتعلقة بالله عز وجل المناسبة للمقام وهى: " **مولاكم** ، **العليم** ، **الحكيم** " فقد ذكر صاحب الكشاف ما يلى: (وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ: سيدكم ومتولى أموركم، وَهُوَ الْعَلِيمُ: بما يصلحكم فيشرعه لكم، الْحَكِيمُ: فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة . وقيل: مولاكم أولى بكم من أنفسكم، فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم) [١] .

وقال صاحب الظلال: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ .. فهو يعينكم على ضعفكم وعلى ما يشق عليكم، ومن ثم فرض تحلة الأيمان، للخروج من العنت والمشقة..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يشرع لكم عن علم وعن حكمة، ويأمركم بما يناسب طاقتكم وما يصلح لكم. فلا تحرموا إلا ما حرم، ولا تحلوا غير ما أحل. وهو تعقيب يناسب ما قبله من توجيه) [٢] .

وفى هذا التذييل إشارة إلى أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه تعالى وصفاته ومرتبط بها . يقول الشيخ السعدى- رحمه الله: (يختم الله - تعالى - الآيات بأسمائه الحسنى ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم، وهذه القاعدة لطيفة نافعة. تدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبط بها، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم . فتجد

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لجار الله محمود الزمخشري جـ٤ ص٥٦٥، ط/ دار الكتاب العربي .

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب جـ٦ ص٣٦١٥ .

آية الرحمة مختومة بصفات الرحمة، وآيات العقاب والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر)[١] .

وهذا التذييل فيه أيضاً ما يدل على ضعف العباد وأنهم لا يسلمون من عمل السوء، لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليهم [٢] .

مما سبق يتضح لنا روعة وجمال القرآن الكريم، وبلاغة أسراره في اختيار ألفاظه المناسبة للمعنى، ولاسيما في التذييل كما هنا . فضلاً عما ورد في هاتين الصفتين من المبالغة .

المطلب الثالث

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما طيّب تعالى نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأول السورة، ثم أتبعه الأمر الآخر، عطف عليه قوله تعالى – تشريفاً لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) راجع: القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ السعدى جـ١ ص٥٣، ط/ مكتبة الرشد– الرياض .

(٢) راجع: التفسير الكبير جـ١٠ ص٨، وأيسر التفاسير لأسعد حومد جـ١ ص٥١٠، ط/ المكتبة العصرية .

بالمعاتبة عليه، وبإظهار ما هو حامل له من ثقل هذا السر على أجمل وجه تخفيفاً عنه وترويحاً له - : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾... الآية [١].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

وإذ أسرَّ النبي إلى زوجته حفصة - رضي الله عنها- حديثاً، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعه الله على إفشائها سرَّه، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكرماً، فلما أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت: مَن أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية [٢] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلي:

قال صاحب التفسير الوسيط: (وفي تذييل الآية الكريمة بقوله: ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزماً لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها، وأن إذاعتها- ولو في أضيق الحدود- لا تخفى على الله عز وجل، لأنه سبحانه عليم بكل معلوم، ومحيط بخبايا النفوس وخلجاتها) [٣] .

وفى هذا التذييل إشارة إلى حقيقة عامة مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم ربما نسيّها البشر أو غفلوا عنها وهى: أن الله لا تخفى عليه خافية في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم البقاعي جـ٢٠ ص١٨٥ بتصرف، ط/ دار الكتاب الإسلامي .

(٢) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦٠ .

(٣) التفسير الوسيط ، د/ سيد طنطاوي جـ١٤ ص٤٧١ .

الأرض ولا في السماء فيجازيهم عليها . وهذا ما أشار إليه صاحب الظلال فقال:(والإشارة إلى العلم والخبرة هنا إشارة مؤثرة في حالة التآمر والمكايدات المحبوكة وراء الأستار! ترد السائلة إلى هذه الحقيقة التي ربما نسيتها أو غفلت عنها، وترد القلوب بصفة عامة إلى هذه الحقيقة كلما قرأت هذا القرآن) [1] .

سر ايثار وصفيّ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ هنا:

وَإِيثَارُ وَصْفَيِّ **الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** هُنَا دُونَ الِاسْمِ الْعَلَمِ: لِمَا فِيهِمَا مِنَ التَّذْكِيرِ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ مِنْ إِحَاطَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِلْمًا وَخَبَرًا بِكُلِّ شَيْءٍ .

والْعَلِيمُ: الْقَوِيُّ الْعِلْمِ، وَهُوَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى دَالٌّ عَلَى أَكْمَلِ الْعِلْمِ، أَيِ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ مَعْلُومٍ . **والْخَبِيرُ**: أَخَصُّ مِنَ الْعَلِيمِ، لِأَنَّهُ مُشْتَقّ من خبر الشَّيْءِ: إِذَا أَحَاطَ بِمَعَانِيهِ وَدَخَائِلِهِ .

الفرق بين الخُبر والعلم:

الْفَرْقُ بَيْنَ الْخُبْرِ وَالْعِلْمِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى صِفَةِ الْعِلْمِ: أَنْ تَتَعَرَّفَ حُصُولَ الْفَائِدَةِ مِنْ وَجْهٍ، وَأَضِفْ ذَلِكَ إِلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، وَسَمِّ الْفَائِدَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي عَنْهُ حَصَلَتْ، فَمَتَى حَصَلَتْ مِنْ مَوْضِعِ الْحُضُورِ سُمِّيَتْ مُشَاهَدَةً وَالْمُتَّصِفُ بِهَا هُوَ الشَّاهِدُ وَالشَّهِيدُ ، وَكَذَلِكَ إِنْ حَصَلَتْ مِنْ وَجْهِ سَمْعٍ أَوْ بَصَرٍ فَالْمُتَّصِفُ بِهَا سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ، وَكَذَلِكَ إِنْ حَصَلَتْ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَلَامَةٍ فَهُوَ الْعِلْمُ وَالْمُتَّصِفُ بِهِ الْعَالِمُ وَالْعَلِيمُ، وَإِنْ حَصَلَتْ عَنِ اسْتِكْشَافِ ظَاهِرِ الْمَخْبُورِ عَنْ بَاطِنِهِ بِبَلْوَى أَوِ امْتِحَانٍ أَوْ تَجْرِبَةٍ أَوْ تَبْلِيغٍ فَهُوَ الْخَبَرُ. وَالْمُسَمَّى بِهِ الْخَبِيرُ» .

---

(١) في ظلال القرآن ، لسيد قطب جـ٦ ص٣٦١٦ .

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى» : «الْعِلْمُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْخَفَايَا الْبَاطِنَةِ سُمِّيَ خِبْرَةً وَسُمِّيَ صَاحِبُهَا خَبِيرًا » [١] .

الحكمة من اتّباع وصف العليم بوصف الخبير هنا :

يَتَّضِحُ من اتِّبَاعَ وَصْفِ الْعَلِيمُ بِوَصْفِ الْخَبِيرُهنا: أنه إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ دَخِيلَةَ الْمُخَاطَبَةِ وَمَا قَصَدَتْهُ مِنْ إِفْشَاءِ السِّرِّ لِلْأُخْرَى ، وَقَدْ حَصَلَ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ تَعْلِيمُهَا بِأَنَّ الله يطلع رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا غَابَ إِنْ شَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ ، وَتَنْبِيهًا عَلَى مَا أَبْطَنَتْهُ مِنَ الْأَمْرِ .

ووصفه تعالى بكونه " خبيراً " بعد وصفه بكونه " عليماً " لما أن في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم [٢] . وهذا من بلاغة القرآن الكريم .

وأخيراً يتجلى لنا من هذا التذييل والتذييل السالف ذكره في الآية السابقة: أنهما مناسبين لمضمون الآيتين، حيث جاء التذييل في الآية الأولى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ والتذييل في الآية الثانية بقوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ وذلك قمة البلاغة القرآنية، وذروة الفصاحة الإلهية الواردة في هذين التذييلين .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٥٤ ، وراجع: المقصد الأسنى جـ١ ص١٠٣ .

(٢) راجع: التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٥٥ بتصرف، وراجع: التفسير الكبير جـ٣٠ ص٥٧٠ .

المطلب الرابع

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما عُرف مما سبق أن المعاتب المنبئة ومن نبأته، وكان قد يكون عدداً أشار إلى أنه واحد فالمعاتب اثنتان، لفت إليهما الخطاب بلطيف العباد لشريف المتاب، فقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ..... الآية[1].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

وَجَّهَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ خِطَابَهُ الكَرِيمَ إِلَى زَوْجَتَي النَّبِيِّ اللَّتَينِ تَظَاهَرَتَا عَلَيهِ (وَهُمَا حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ) فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ تَتُوبَا مِنْ ذَنْبِكُمَا، وترجعا إلى الله وَتُقْلِعَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، تَكُنْ قُلُوبُكُمَا قَدْ مَالَتْ إِلَى الخَيْرِ، وَتَكُونَا قَدْ أَدَّيْتُمَا مَا يَجِبُ عَلَيْكُمَا نَحْوَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إِجْلَالٍ واحْتِرَامٍ، وَتَكْرِيمٍ لِمَقَامِهِ الكَرِيمِ .

وإن تتعاونا عليه بما يسوءه من إفشاء سرِّه ، فإن الله وليه وناصره، وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرة الله أعوان له ونصراء على مَن يؤذيه ويعاديه [2] .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ٢٠ ص١٨٨ باختصار وتصرف .

(٢) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦٠،وأيسر التفاسير لأسعد حومد جـ١ ص٥١١١ باختصار.

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ .وهى لتعظيم نصرة الله لرسوله ﷺ بوفرة الأعوان الناصرين .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلى:

بيّن العلامة الآلوسى بعض الأسرار من هذا التذييل فقال: (وفائدة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التنبيه على أن نصرة الملائكة عليهم السلام أقوى وجوه نصرته عز وجل وإن تنوعت، ثم لا خفاء في أن نصرة جميع الملائكة- وفيهم جبريل- أقوى من نصرة جبريل عليه السلام وحده . وقيل: الإشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة، فالتعظيم بالنسبة إليها .

وبالجملة فائدة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نحو فائدة (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (١) ، وهو التفاوت الرتبي، أي أعظمية رتبة ما بعدها بالنسبة إلى ما قبلها، وهذا لا يتسنى على ما نقل عن البحر، بل ذلك للإشارة إلى تبعية المذكورين في النصرة والإعانة عز وجل .

وأعظم جل جلاله شأن النصرة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على هاتين الضعيفتين: إما للإشارة إلى عظم مكر النساء، أو للمبالغة في قطع حبال طمعهما .

وقيل: المراد المبالغة في توهين أمر تظاهرهما، ودفع ما عسى أن يتوهمه المنافقون من ضرره في أمر النبوة والتبليغ ، وقهر أعداء الدين، وفيه أيضاً مزيد إغاظة للمنافقين، وحسم لأطماعهم الفارغة) (٢) .

---

(١) سورة البلد : من الآية ١٧ .

(٢) روح المعاني جـ١٤ ص٣٤٩ باختصار .

وأضاف "صاحب الظلال" بعض الحكم والأسرار من هذا التذييل فقال: (وحين نتجاوز صدر الخطاب، ودعوتهما إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهديداً رهيباً مخيفاً..

ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين. والملائكة بعد ذلك ظهير! ليطيب خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير!) (١) .

قال العلامة ابن عاشور: (وَقَوْلُهُ : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ: تَعْظِيمُ هَذَا النَّصْرِ بِوَفْرَةِ النَّاصِرِينَ، تَنْوِيهًا بِمَحَبَّةِ أَهْلِ السَّمَاءِ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُسْنِ ذِكْرِهِ بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُزِيدُ نَصْرَ اللَّهِ إِيَّاهُ شَأْنًا .....

فائدة ذكر الملائكة بعد ذكر تأييد الله وجبريل وصالح المؤمنين:

أَنَّ الْمَذْكُورين قبلهم ظَاهره آثَارُ تَأْيِيدِهِمْ بِوَحْيِ الله للنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ وَنَصْرُهُ إِيَّاهُ بِوَاسِطَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَنَبَّهَ اللَّهُ الْمَرْأَتَيْنِ عَلَى تَأْيِيدٍ آخَرَ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ آثَارُهُ وَهُوَ تَأْيِيدُ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ هَذَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَ نُصْرَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى نُصْرَةِ جِبْرِيلَ بَلْ نُصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى . **وظَهِيرٌ** وَصْفٌ بِمَعْنَى الْمُظَاهِرِ، أَيِ الْمُؤَيِّدِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الظَّهْرِ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفَاعِلٍ مِثْلَ حَكِيمٍ بِمَعْنَى مُحْكِمٍ) (٢) .

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب جـ٦ ص٣٦١٦ باختصار .

(٢) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٥٨،٣٥٩ باختصار وتصرف .

مما تقدم يتبين لنا أن التذييل بقول الله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ مناسب لمضمون الآية الكريمة بأبلغ العبارات وأوجز الألفاظ .

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما حذّر- سبحانه - بما تقدم، زاد في التحذير ما يقطع القلوب، لأن أشد ما على المرأة أن تطلق، ثم إذا طلقت أن تستبدل بها، ثم أن يكون البدل خيراً منها، فقال:- مبيناً لأدنى أنواع المظاهرة، سائقاً الأمر مساق الرجاء- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ..... الآية [١] .

سبب النزول:

روى البخارى بسنده (عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ « فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ») [٢] .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

عسى ربُّه إن طلقكنَّ -أيتها الزوجات- أن يزوِّجه بدلاً منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله مِن طاعته، كثيرات العبادة له، صائمات، بَعْضُهُنَّ ثَيِّبَاتٌ سَبَقَ لَهُنَّ الزَّوَاجُ، وَبَعْضُهُنَّ أَبْكَارٌ لَمْ يَسْبِقْ لأَحَدٍ الزَّوَاجُ مِنْهُنَّ [٣] .

---

(١) نظم الدرر جـ٢٠ص١٩٢ باختصار وتصرف .

(٢) صحيح البخاريجـ٦ ص١٥٨ حديث رقم ٤٩١٦ ، ط/ دار طوق النجاة ، وراجع: لباب النقول جـ١ ص١٨، ٢٠٠ .

(٣) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦٠، وأيسر التفاسير لأسعد حومد جـ١ ص٥١١٢ .

ومن لطائف وأسرار التعبير بقوله تعالى﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾ ما يلي:

قال الفخر الرازى في سر ذكر الصفتين ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾ : (لِأَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَعْضُهَا مِنَ الثَّيِّبِ وَبَعْضُهَا مِنَ الْأَبْكَارِ، فَالذِّكْرُ عَلَى حَسَبِ مَا وَقَعَ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَزَوُّجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى حَسَبِ الشَّهْوَةِ وَالرَّغْبَةِ، بَلْ عَلَى حَسَبِ ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .... إلى أن قال:

ذَكَرَ الثَّيِّبَاتِ فِي مَقَامِ الْمَدْحِ وَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُقَلِّلُ رَغْبَةَ الرِّجَالِ إِلَيْهِنَّ . نَقُولُ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ مِنَ الثَّيِّبِ خَيْرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَعْضِ مِنَ الْأَبْكَارِ عند الرسول، لاختصاصهن بالمال والجمال، أو النَّسَبِ، أَوِ الْمَجْمُوعِ مَثَلًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَقْدَحُ ذِكْرُ الثَّيِّبِ فِي الْمَدْحِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِثْلَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الثيب) [(١)] .

وحول السر في ترك العطف في الصفات السابقة وذكره في ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾ يقول العلامة الآلوسى:(وترك العطف في الصفات السابقة: لأنها صفات تجتمع في شيء واحد وبينها شدة اتصال يقتضي ترك العطف، ووسط العاطف هنا: للدلالة على تغاير الصفتين، وعدم اجتماعهما في ذات واحدة .

---

(١) التفسير الكبير جـ٣٠ ص٥٧١، ٥٧٢ باختصار .

ولم يؤت(بأو) قيل: ليكون المعنى أزواجاً بعضهن ثيبات وبعضهن أبكار، وقريب منه ما قيل: وسط العاطف بين الصفتين لأنهما في حكم صفة واحدة، إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار فتدبر)[١] .

وفي ذكر كلٍ من الثيب والبكر مدح وثناء لكلٍ منهما، وذلك لأَنَّ كِلْتَا الصِّفَتَيْنِ مَحَاسِنُهَا عِنْدَ الرِّجَالِ، **فَالثَّيِّبُ** أَرْعَى لِوَاجِبَاتِ الزَّوْجِ، وَأَمْيَلُ مَعَ أَهْوَائِهِ، وَأَقْوَمُ عَلَى بَيْتِهِ، وَأَحْسَنُ لِعَابًا، وَأَبْهَى زِينَةً، وَأَحْلَى غَنْجًا . **وَالْبِكْرُ** أَشَدُّ حَيَاءً، وَأَكْثَرُ غِرَارَةً وَدَلًّا، وَفِي ذَلِكَ مَجْلَبَةٌ لِلنَّفْسِ، وَالْبِكْرُ لَا تَعْرِفُ رَجُلًا قَبْلَ زَوْجِهَا فَفِي نُفُوسِ الرِّجَالِ خَلْقٌ مِنَ التَّنَافُسِ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ .

وَتَقْدِيمُ وَصْفِ ثَيِّبَاتٍ: لِأَنَّ أَكْثَرَ أَزوَاج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَزَوَّجَهُنَّ كُنَّ ثَيِّبَاتٍ . وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَلَامَ الْأَشَدَّ مُوَجَّهٌ إِلَى حَفْصَةَ قَبْلَ عَائِشَةَ، وَكَانَتْ حَفْصَةُ مِمَّنْ تَزَوَّجَهُنَّ ثَيِّبَاتٍ وَعَائِشَةُ هِيَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا بِكْرًا. وَهَذَا التَّعْرِيضُ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ التَّأْدِيبِ [٢] .

---

(١) روح المعانى جـ١٤ ص٣٥٠ .

(٢) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٦٢ باختصار وتصرف، وراجع: الفتوحات الإلهية جـ٤ ص٣٦٨ .

المطلب الخامس

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أبلغ سبحانه في عتاب أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأثمر ذلك أمر الأمة بالتأسي به في الأخلاق الكاملة، أتبع سبحانه هذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأقرب فالأقرب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... الآية [١] .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نارٍ وقودها الناس من الكفرة والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم ،لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به[٢] .

---

(١) نظم الدرر جـ٢٠ ص١٩٦ باختصار وتصرف .

(٢) التفسير الميسر جـ١ص٥٦٠،وأيسر التفاسير لأسعد حومد جـ١ ص٥١١٣ باختصار .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ . وهي في الثناء على الملائكة واستحضار الصورة البديعة في امتثالهم لما يؤمرون به .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلي:

حول تذييل هذه الآية الكريمة وسر ذكر الجملة الثانية ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ذكر العلامة الآلوسى ما يلى: (والجملة الأولى لنفي المعاندة والاستكبار عنهم صلوات الله تعالى عليهم، فهى كقوله تعالى :﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾[١] ، والثانية لإثبات الكياسة لهم ونفي الكسل عنهم، فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [٢] .

وبعبارة أخرى: إن الأولى لبيان القبول باطناً، فإن العصيان أصله المنع والإباء، وعصيان الأمر صفة الباطن بالحقيقة، لأن الإتيان بالمأمور إنما يعدّ طاعة إذا كان بقصد الامتثال، فإذا نفي العصيان عنهم دل على قبولهم وعدم إبائهم باطناً ، والثانية لأداء المأمور به من غير تثاقل وتوان على ما يشعر به الاستمرار المستفاد من ﴿وَيَفْعَلُونَ﴾ فلا تكرار، وفي المحصول: ﴿لَا يَعْصُونَ﴾ فيما مضى على أن المضارع لحكاية الحال الماضية ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ في الآتي) [٣] .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية ٢٠٦ .

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ١٩، ٢٠ .

(٣) روح المعاني جـ١٤ ص٣٥٢ باختصار وتصرف .

وقد ذكر العلامة ابن عاشور بعض الأسرار في هذا التذييل ومرجع كل جملة فقال: (وَجُمْلَةُ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ أُعْقِبَ بِهِ وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ تَعْدِيلًا لِمَا تَقْتَضِيَانِهِ مِنْ كَرَاهِيَةِ نُفُوسِ النَّاسِ إِيَّاهُمْ، وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِالْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ فِي تَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ:﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فَهُوَ تَصْرِيحٌ بِمَفْهُومِ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ دَعَا إِلَيْهِ مَقَامُ الْإِطْنَابِ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، مَعَ مَا فِي هَذَا التَّصْرِيحِ مِنِ اسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ فِي امْتِثَالِهِمْ لِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ .

وَقَدْ عُطِفَ هَذَا التَّأْكِيدُ عَطْفًا يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ تَنْوِيهًا بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، لِأَنَّ فِعْلَ الْمَأْمُورِ أَوْضَحُ فِي الطَّاعَةِ مِنْ عَدَمِ الْعِصْيَانِ، وَاعْتِبَارٌ لِمُغَايَرَةِ الْمَعْنَيَيْنِ وَإِنْ كَانَ قَالَهُمَا وَاحِدٌ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ مَرْجِعَ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ فِيمَا يُكَلَّفُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، وَمَرْجِعُ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ إِلَى مَا كُلِّفُوا بِعَمَلِهِ فِي الْعُصَاةِ فِي جَهَنَّمَ)[1] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا بعض الأسرار العظيمة، والحكم الجليلة من التذييل بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ حيث جاء التذييل مشتملاً على نكات بلاغية، ولطائف بيانية، مما يبرز روعة وجمال القرآن الكريم، وأنه ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2] .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٦٦، وراجع: الكشاف جـ٤ ص٥٦٨، ٥٦٩.

(٢) سورة هود: الآية الأولى .

المبحث الثاني

أسرار التذييل في الآيات (٧- ١٢)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

المطلب الثاني: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

المطلب الثالث: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

المطلب الرابع: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾

المطلب الخامس: سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾

المطلب الأول

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

ذكر الفخر الرازى في مناسبة هذه الآية لما قبلها ومعناها ما يلى: (لَمَّا ذَكَرَ شِدَّةَ الْعَذَابِ بِالنَّارِ، وَاشْتِدَادَ الْمَلَائِكَةِ فِي انْتِقَامِ الْأَعْدَاءِ، فَقَالَ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ أَيْ يُقَالُ لَهُمْ: لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِذِ الِاعْتِذَارُ هُوَ التَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ بَعْدَ الدُّخُولِ فِي النَّارِ، فَلَا يَنْفَعُكُمُ الِاعْتِذَارُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يَعْنِي: إِنَّمَا أَعْمَالُكُمُ السَّيِّئَةُ أَلْزَمَتْكُمُ الْعَذَابَ فِي الْحِكْمَةِ)[1] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو تذييل لتعليل النهى عن الاعتذار .

ومن أسرار التذييل بالجملة الكريمة ما يلى:

قال الطاهر ابن عاشور في هذه الآية : (وَجُمْلَةُ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ إِذْ كَلِمَةُ (إِنَّما) مُرَكَّبَةٌ من (إِنَّ) و(مَا) الْكَافَّةِ، فَكَمَا يَصِحُّ التَّعْلِيلُ بِـ (إِنَّ) وَحْدَهَا كَذَلِكَ يَصِحُّ التَّعْلِيلُ بِهَا مَعَ (مَا) الْكَافَّةِ .

وَعُدِيَّ ﴿تُجْزَوْنَ﴾ إِلَى ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بِدُونِ الْبَاءِ: لِيَشْمَلَ الْقَصْرُ

---

(١) التفسير الكبير جـ٣٠ ص٥٧٢ .

مَفْعُولَ الْفِعْلِ الْمَقْصُورِ، أَيْ تُجْزَوْنَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ لَا أَكْثَرَ مِنْهُ فَيَنْتَفِيَ الظُّلْمُ عَنْ مِقْدَارِ الْجَزَاءِ كَمَا انْتَفَى الظُّلْمُ عَنْ أَصْلِهِ، وَلِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ لَمْ يُعَلَّقْ مَعْمُولُ الْفِعْلِ بِالْبَاءِ إِذْ جُعِلَ بِمَنْزِلَةِ نفس الْفِعْل .

وَأَفَادَتْ (إِنَّما) هنا قَصْرَ الْجَزَاءِ عَلَى مُمَاثَلَةِ الْعَمَلِ الْمُجْزَى عَلَيْهِ قَصْرَ قَلْبٍ لِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ مَنِ اعْتَذَرَ، وَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهُ أَهْوَنَ مِمَّا شَاهَدَهُ)[1] .

ويقول العلامة الآلوسى: (وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تعليل للنهى عن الاعتذار، فإن الجزاء حيث كان متحتم الوقوع، لقضائه سبحانه إياه بمقتضى عدله، كان الاعتذار وعدمه مستويين في عدم النفع)[2].

فالتذييل في الآية الكريمة لتعليل عدم منفعة الكافرين بالاعتذار، وفيه قطع لرجائهم وإيجاب ليأسهم، فيعظم همهم وتنقطع قلوبهم .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٦٧، جـ٢٧ ص٤٤،٤٥ باختصار .

(٢) روح المعاني جـ١٤ ص٣١ باختصار وتصرف .

المطلب الثاني

سر التذييل بقول الله - عز وجل - / ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

ذكر صاحب التفسير الكبير علاقة هذه الآية بالآية السابقة فقال: (كيف تعلق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بما سبق، وهو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؟ فَنَقُولُ: نَبَّهَهُمْ تَعَالَى عَلَى دَفْعِ الْعَذَابِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالتَّوْبَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، إِذْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا تُفِيدُ، وَفِيهِ لَطِيفَةٌ: وَهِيَ أَنَّ التَّنْبِيهَ عَلَى الدَّفْعِ بَعْدَ التَّرْهِيبِ فِيمَا مَضَى يُفِيدُ التَّرْغِيبَ بِذِكْرِ أَحْوَالِهِمْ وَالْإِنْعَامِ فِي حَقِّهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ)[1] .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعاً لا معصية بعده، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم ، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ولا يعذبهم، بل يُعلي شأنهم، وَيَجْعَلُ نُورَهُمْ فِي ذَلِكَ اليَومِ يَسْعَى بَينَ أَيْدِيهِمْ، حِينَ يَمْشُونَ وَكُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ

(١) التفسير الكبير جـ٣٠ ص٥٧٤ .

أَنْ يُبْقِي لَهُمْ نُورَهُمْ، فَلا يَطْفِئُهُ حَتَّى يجُوزُوا الصِّرَاطَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِم السَّالِفَةِ، وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا العَظِيمَ إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلاَ يُعْجِزُكَ شَيءٌ [1] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهو تذييل لتعليل دعاء المؤمنين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ .

ومن أسرار وحكم التذييل بقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ما يلي:-

يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (وَجُمْلَةُ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ... إِلَى آخِرِهَا حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ " نُورُهُمْ "، أَيْ: يَقُولُونَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَدُعَاؤُهُمْ طَلَبٌ لِلزِّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ، فَيَكُونُ ضمير " يَقُولُونَ" عَائِدٍ إِلَى جَمِيعِ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، أَوْ يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ كَانَ نُورُهُ أَقَلَّ مِنْ نُورِ غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، فَيَكُونُ ضَمِيرُ "يَقُولُونَ" عَلَى إِرَادَةِ التَّوْزِيعِ عَلَى طَوَائِفِ الَّذِينَ آمَنُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَإِتْمَامُ النُّورِ إِدَامَتُهُ أَوِ الزِّيَادَةُ مِنْهُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ آنِفًا، وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ لَهُمْ هُوَ لِطَلَبِ دَوَامِ الْمَغْفِرَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ وَتَوَاضُعٌ لَهُ، مِثْلَ مَا قِيلَ فِي اسْتِغْفَارِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً .

---

(١) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦١، وأيسر التفاسير لأسعد حومد جـ١ ص٥١١٥ باختصار.

وَيَظْهَرُ بِذَلِكَ وَجْهُ التَّذْيِيلِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الْمُشْعِرُ بِتَعْلِيلِ الدُّعَاءِ، كِنَايَةً عَنْ رَجَاءِ إِجَابَتِه لَهُم) [١] .

والآية الكريمة تختتم بهذا الختام الذى هو دعاء وتضرع إلى الله مناسباً للمقام الذى هم فيه، فضلاً عن هول الموقف (وهم في رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ .. وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب، هو علامة الاستجابة . فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب . فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور) [٢] .

ويقول صاحب التفسير الوسيط: (وختموا دعاءهم بقولهم- كما حكى القرآن عنهم: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ للإشارة إلى أنهم كانوا على جانب كبير من رجاء تحقيق دعائهم، لأنهم يسألون ويدعون الله تعالى الذي لا يقف أمام قدرته شيء) [٣] .

فالآية الكريمة المشتملة على هذا التذييل فيها دلالة على أن القرآن الكريم منزل من لدن حكيم خبير. حيث ألهمهم الله هذا الدعاء الصالح الذى هو منّة منه سبحانه، بالرغم من رهبة الموقف وشدته . فسبحان من هذا كلامه، وصلى الله وسلم على من كانت هذه معجزته .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٧١ باختصار .

(٢) في ظلال القرآن جـ٦ ص٣٦١٨ .

(٣) التفسير الوسيط ، د/ سيد طنطاوى جـ١٤ ص٤٧٩ .

المطلب الثالث

سر التذييل بقول الله عز وجل ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لقد ذكر الله عز وجل في الآية السابقة التوبة النصوح ودعا عباده أن يجاهدوا أنفسهم ويمنعوها عن فعل السيئات، وفى هذه الآية أمر الله النبى ﷺ وأمته أن يجاهدوا أعداءهم من الكفار والمنافقين، ففى الآية السابقة جهاد للنفس وهنا جهاد للأعداء .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقاتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل معهم الشدة والخشونة في جهادهم، وَبَيِّنْ لَهُمْ مسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة وهو جهنم، وَسَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَصِيراً [1] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

ومن أسرار ولطائف التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلى:

يقول العلامة ابن عاشور: (وَجُمْلَةُ: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ تَذْيِيلٌ لزيادة تهويل الوعيد . وَالْمَأْوَى مَا يَأْوِي إِلَيْهِ الْمَرْءُ مِنَ الْمَكَانِ، أَيْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَالْمَصِيرُ الْمَكَانُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ، أَيْ يَرْجِعُ . فَالِاخْتِلَافُ بَيْنَهُ وبين

---

(١) راجع: التفسير الميسر جـ١ ص٥٦١، وأيسر التفاسير، لأسعد حومد جـ١ ص٥١١٦ .

الْمَأْوَى بِالِاعْتِبَارِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا هُنَا تَفَنُّنٌ ....

وَحَرْفُ التَّعْرِيفِ لِلْجِنْسِ فَيُفِيدَ الْعُمُومَ، أَيْ بِئْسَ الْمَصِيرُ هِيَ لِمَنْ صَارَ إِلَيْهَا، فالْجُمْلَةُ تَذْيِيلٌ لِمَا فِيهَا مِنْ عُمُومِ الْحُكْمِ لِلْمُخَاطَبِينَ وَغَيْرِهِمْ والْوَاوُ اعتراضية تذييلية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّعْرِيفُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ إِنْشَاءَ ذَمٍّ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ الْحَالِ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ) [١] .

وقال العلامة الآلوسى: (﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ تذييل، والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم، والْمَصِيرُ اسم مكان، ويحتمل المصدرية، وفرقوا بينه وبين المرجع: بأن المصير يقتضي مخالفة ما صار إليه من جهنم لما كان عليه في الدنيا، لأن الصيرورة تقتضي الانتقال من حال إلى حال أخرى، كصار الطين خزفاً، والمرجع انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها، كقولك: مرجع ابن آدم إلى التراب) [٢] .

وقال صاحب التفسير الوسيط: (وقوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ تذييل قصد به بيان سوء مصيرهم في الآخرة بعد بيان ما يجب على المؤمنين نحوهم في الدنيا ، أى: عليك- أيها النبي- أن تجاهدهم وأن تغلظ عليهم في الدنيا، أما في الآخرة فإن جهنم هي دارهم وقرارهم، والمخصوص بالذم محذوف والتقدير: وبئس المصير مصيرهم، فانه لا مصير أسوأ من الخلود في جهنم) [٣] .

---

(١) راجع: التحرير والتنوير جـ١٠ ص٢٦٧، جـ١٧ ص٣٣٧ بتصرف .

(٢) روح المعانى جـ٢ ص٣٢٣ بتصرف واختصار .

(٣) التفسير الوسيط، د/ سيد طنطاوى جـ٦ ص٣٥٢ .

فإن قيل: قوله: ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ يدل على أن مصيرهم بئس المصيرُ، فما فائدة قوله: ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ؟ فالجوابُ: أن مصيرهم بئس المصير مطلقاً، والمطلق يدل على الدوام، وغير المطلق لا يدل على الدوام [١] .

وهكذا تتجلى لنا بعض الأسرار العظيمة، والحكم البديعة من التذييل بقول الله عز وجل﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ حيث جاء التذييل لبيان سوء مصير الكفار والمنافقين من خلال التعبير بأسلوب الذم (بئس)، وهو من بلاغة وروعة أسلوب القرآن الكريم .

(١) اللباب في علوم الكتاب، لأبى حفص بن عادل الحنبلى جـ١٩ ص٢١٤ بتصرف، ط/ دار الكتب العلمية .

المطلب الرابع

سر التذييل بقول الله - عز وجل - : ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾

يضاف إلى رصيد أسلوب القرآن الكريم العالي المتميز الرفيع في وصوله إلى إبراز وإظهار المعاني بشتى الطرق ومختلف الوسائل: أسلوب ضرب الأمثال تقريباً للأفهام، فلقد استخدم الله تبارك وتعالى هنا ضرب المثل الذى هو عبارة عن (إيراد حالة غريبة لتعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة) [١] .

مناسبة الآية لما قبلها:

ذكر العلامة الآلوسى أن عصيان امرأة نوح وامرأة لوط كعصيان الكفرة لرسول الله ﷺ فقال:(وفي هذا على ما قيل: تصوير لحال المرأتين المحاكية لحال الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة) [٢] .

---

(١) راجع: روح المعانى جـ١٤ص٣٥٦، والفتوحات الإلهية جـ٤ ص٣٧١ .

(٢) روح المعانى جـ١٤ص٣٥٧، والفتوحات الإلهية جـ٤ ص٣٧١ . حيث قال:" لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين فربما توهموا أنها تنفعهم، وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ، ضرب لكلٍ مثلاً وبدأ بالأول فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ...الخ، وراجع: تفسير القرطبى جـ١٨ص٢٠٢.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة :

ضرب الله مثلاً لحال الكفرة – في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله– بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبدَين من عبادنا صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئًا، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها [١] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ وهو تذييل لبيان أن القرب من الأنبياء والصالحين لا يفيد شيئاً مع العمل السيِّئ .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلي:

يقول القرطبى حول تذييل الآية الكريمة ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾:(أَيْ: لَمْ يَدْفَعْ نُوحٌ وَلُوطٌ مَعَ كَرَامَتِهِمَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ زَوْجَتَيْهِمَا– لَمَّا عَصَتَا– شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ يُدْفَعُ بِالطَّاعَةِ لَا بِالْوَسِيلَةِ . وَقِيلَ لَهُمَا:﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا يُقَالُ لِكُفَّارِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ) [٢] .

ويقول العلامة الآلوسى في هذا التذييل: (وذكر غير واحد أن المقصود: الإشارة إلى أن الكفرة يعاقبون بكفرهم ولا يراعون بما بينهم وبين

---

(١) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦١ .

(٢) تفسير القرطبى جـ١٨ ص٢٠٢ باختصار .

النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم من الوصلة، وفيه: تعريض لأمهات المؤمنين وتخويف لهنّ بأنه لا يفيدهن إن أتين بما حظر عليهن كونهن تحت نكاح النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم)[١] .

كما أشار الطاهر ابن عاشور إلى بعض الأسرار فقال: (وَانْتَصَبَ ﴿شَيْئًا﴾ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ " ليُغْنِيا "، لِأَنَّ الْمَعْنَى: شَيْئًا مِنَ الْغِنَى، وَتَنْكِيرُ ﴿شَيْئًا﴾ لِلتَّحْقِيرِ، أَيْ أَقَلَّ غِنًى وَأَجْحَفَهُ بَلْهَ الْغِنَى الْمُهِمِّ .

وَزِيَادَةُ ﴿مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ لِإِفَادَةِ مساواتهما فِي الْعَذَابِ لِغَيْرِهِمَا مِنَ الْكَفَرَةِ الْخَوَنَةِ ، وَذَلِكَ تأييس لَهما مِنْ أَن ينتفعا بِشَيْء مِنْ حُظْوَةِ زَوْجِيهِمَا)[٢] .

فهذا التذييل فيه إشارة إلى قطع طمع من يرتكب المعصية أن ينفعه صلاح غيره ، وتخوف المطيع من أن معصية غيره تضره .

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أتمّ سبحانه مثل النذارة، بأن طاعة المطيع لا تنفع العاصي، وإن كان أقرب الناس إلى المطيع ، أتبعه بمثل البشارة، بأن عصيان العاصي لا يضر المطيع فقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... الآية [٣] .

---

(١) روح المعاني جـ١٤ ص٣٥٧ .

(٢) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٧٦ باختصار، وراجع: التفسير الوسيط جـ١٤ ص٤٨٢ .

(٣) نظم الدرر جـ٢٠ ص٢١٠ باختصار وتصرف .

وقال العلامة ابن عاشور: (لَمَّا ضُرِبَ الْمَثَلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُعْقِبَ بِضَرْبِ مَثَلٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا، لِتَحْصُلَ الْمُقَابَلَةُ فَيَتَّضِحَ مَقْصُودُ الْمَثَلَيْنِ مَعًا، وَجَرَيَا عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي إِتْبَاعِ التَّرْهِيبِ بِالتَّرْغِيبِ) (١) .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

وضرب الله مثلاً لحال المؤمنين – الذين صدَّقوا الله وعبدوه وحده وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم– بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة به سبحانه وتعالى، حين قالت: رب ابْنِ لي داراً عندك في الجنة، وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته، ومما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال ومن عذابهم (٢) .

ومن أسرار وحكم التعبير بقوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما يلى:

حول ختام الآية الكريمة– فقد ختمت بطلب امرأة فرعون النجاة من فرعون والظلمة – ذكر العلامة الآلوسي ما يلى: (﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾ أي من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم ، ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ أي وخصوصاً من عمله، وهو الكفر وعبادة غير الله تعالى والتعذيب بغير جرم إلى غير ذلك من القبائح، وهذا الأسلوب أبلغ لدلالته على طلب البعد من نفسه الخبيثة، كأنه بجوهره عذاب ودمار يطلب الخلاص منه، ثم طلب النجاة من عمله ثانياً تنبيهاً على أنه الطامة العظمى .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٧٦ .

(٢) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦١ بتصرف .

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القبط التابعين له في الظلم قاله مقاتل، وقال الكلبي: من أهل مصر: وكأنه أراد بهم القبط أيضاً .

وفيه دليل على **أن** الاستعاذة بالله تعالى، والالتجاء إليه عز وجل، ومسألة الخلاص منه تعالى عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين) [١] .

وقال ابن عاشور: (أَرَادَتْ بِعَمَلِ فِرْعَوْنَ ظُلْمَهُ، أَيْ نَجِّنِي مِنْ تَبِعَةِ أَعْمَالِهِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾ مِنْ صُحْبَتِهِ . طَلَبَتْ لِنَفْسِهَا فَرَجًا وَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ) [٢] .

---

(١) روح المعاني جـ١٤ ص٣٥٨ باختصار وتصرف .

(٢) التحرير والتنوير جـ٢٨ ص٣٧٧ .

المطلب الخامس

سر التذييل بقول الله - عز وجل - : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أتمّ سبحانه المثل بمن أساءتا الأدب، فلم تنفعهما الوصلة بالأولياء، بل زادتهما ضرراً للإعراض عن الخير مع قربه وتيسره، وبمن أحسنت الأدب، فلم تضرها الوصلة بأعدى الأعداء، بل زادتها خيراً لإحسانها، ضرب مثلاً بقرينتها فقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ..... الآية [١] .

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعيسى عليه السلام، وصدَّقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين له [٢] .

وجملة التذييل في الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

---

(١) نظم الدرر جـ٢٠ ص٢١٢ باختصار وتصرف .

(٢) التفسير الميسر جـ١ ص٥٦١ .

ومن أسرار وحكم التذييل بهذه الجملة الكريمة ما يلي:

حول تذييل الآية وختام السورة الكريمة بهذا الختام ، وهو تصديق مريم فضلاً عن قنوتها وخضوعها وخشوعها لله عز وجل ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ ذكر صاحب الكشاف ما يلي:

(" وَصَدَّقَتْ " قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة، يعنى: وصفتها بالصدق، وهو معنى التصديق بعينه .

فإن قلت: فما كلمات الله وكتبه؟ قلت: يجوز أن يراد بكلماته: صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره، سماها كلمات لقصرها، وبكتبه: الكتب الأربعة، وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم، وجميع ما كتبه في اللوح وغيره. وقرئ: بكلمة الله وكتابه . أى: بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل .

فإن قلت: لم قيل " مِنَ الْقانِتِينَ " على التذكير؟ قلت: لأنّ القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه . ومِنْ للتبعيض. ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، على أنها ولدت من القانتين، لأنها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله عليهما) [1] .

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله :(﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي من عداد المواظبين على الطاعة " فمن " للتبعيض، والتذكير للتغليب، والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم، فهو أبلغ من قولنا: وكانت من القانتات، أو قانتة، وقيل: " مِنْ " لابتداء الغاية، والمراد

---

(١) تفسير الزمخشرى (الكشاف) جـ٤ ص٥٧٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى والبينات ... وبعد .

فقد استطعت - بفضل الله تعالى - بعد أن انتهيت من الكتابة في هذا الموضوع (**أسرار التذييل في سورة التحريم**) استخلاص الكثير من النتائج، واستنتاج العديد من الفوائد . أذكر أهمها فيما يلى:-

١- صورت لنا هذه السورة الكريمة الحياة الواقعية التي عاشها النبي ﷺ كسائر البشر ، بالإضافة إلى نبوته ورسالته مما يبرز كمال شخصيته ﷺ .

٢- إن تذييل الآيات القرآنية الشريفة لعلم عظيم الشأن، جليل القدر. كما أن الوقوف على بعض أسرار تذييل الآيات القرآنية وحكِمها يظهر جمال القرآن الكريم، ودقة تعبيراته، وسمو عباراته .

٣- يتوصل إلى أسرار تذييل الآيات القرآنية - بعد توفيق الله تعالى - بالقرائن اللفظية والمعنوية، فبهما تتجلى بعض أسرار القرآن الكريم، الذى هو منزل من رب العالمين .

٤- إن دراسة هذا الموضوع والغوص في أسرار تذييل آيات القرآن وحكِمها يربى لدى الباحث ملكة الاستنباط، وإعمال الفكر والفهم، وبهذا يتضح الربط بين ألفاظ القرآن ومعانيه. كما تجلى لنا هذا في ثنايا البحث .

٥- يأتي التذييل - في معظم الأحوال:

لتقرير مضمون الجملة السابقة . كما في التذييل بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ، أو للتأكيد . كما في التذييل بقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أو للتعليل. كما في التذييل بقوله ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، وقوله ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، أو للوعيد. كما في التذييل بقوله:﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وقد يأتي للاعتراض أو ما يجرى مجرى المثل... وغير ذلك .

٦- إن الحديث عن أسرار تذييل الآيات القرآنية يظهر سراً من أسرار القرآن الكريم: وهو اهتمامه باللفظ والمعنى دون تغليب أحدهما على الآخر، مما يدل على وسطية القرآن الكريم في جمعه بين اللفظ والمعنى .

٧- الألفاظ القرآنية الكريمة التي ذُيلت بها آيات الذكر الحكيم جاءت وفقاً لأغراض سامية، وحكِم عالية، ووضع كل كلمة، بل كل حرف في مكانه اللائق به . في غاية الدقة، ونهاية الإبداع، وجل ربنا القائل عن كتابه الكريم﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1] .

٨- انتهى هذا البحث كذلك إلى أن تذييل الآيات القرآنية يتوافق دائماً مع مضمون الآيات وسياقها .

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٨ .

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الاتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ / ط دار الفكر، وقد أرجع إلى ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣- **أحكام القرآن**: لأبى بكر بن العربي المالكي ت٥٤٣هـ ، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م .

٤- **أسباب النزول** : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ت ٤٦٨هـ/ط دار الإصلاح- الدمام، الثانية١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .

٥- **إعجاز القرآن**: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلانى / مطبوع بهامش الاتقان في علوم القرآن للسيوطى.

٦- **أيسر التفاسير**: أسعد محمد حومد / ط المكتبة العصرية – بيروت.

٧- **البديع في البديع في نقد الشعر**: لأسامة بن منقذ / ط دار الكتب العلمية – الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٨- **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى/ ط دار التراث – الثانية/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٩- **بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت٨١٧هـ، المحقق: محمد علي النجار، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة .

١٠- **تاج العروس من جواهر القاموس:** أبو الفيض محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى/ منشورات مكتبة الحياة – بيروت .

١١- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن:** لابن أبى الأصبع ت ٦٥٤هـ / ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

١٢- **التحرير والتنوير:** محمد الطاهر ابن عاشور ت١٣٩٣هـ/ ط دار سحنون – تونس .

١٣- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** لمحمد عبد الرحمن االمباركفورى ت ١٣٥٣هـ، ط/ دار الكتب العلمية– بيروت .

١٤- **تفسير السعدى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان):** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ت ١٣٧٦هـ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت / الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

١٥- **تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن):** أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ / ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

١٦- **تفسير القرآن العظيم:** لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت٧٧٤هـ ، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٩هـ .

١٧- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:** د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط/ دارالفكر المعاصر- دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

١٨- **التفسير الوسيط:** للدكتور/ محمد سيد طنطاوى/ ط دار نهضة مصر .

١٩- **التفسيرالمسير:** مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركى/ ط مجمع الفلك فهد - المدينة المنورة .

٢٠- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبى عبد الله محمد، شمس الدين القرطبي ت٦٧١هـ، ط/ دار الكتب المصرية - القاهرة،الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٢١- **خزانة الأدب وغاية الأرب:** تقى الدين أبى بكر على بن عبد الله الحموى/ ط دار ومكتبة الهلال - بيروت/ الأولى ١٩٨٧م .

٢٢- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبد القادر بن عمر البغدادى/ ط/ مكتبة الخانجى - القاهرة / الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٣- **ديوان النابغة الذبيانى:** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / ط دار المعارف - القاهرة .

٢٤- **روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى:** شهاب الدين السيد محمود الآلوسى ت ١٢٧٠هـ / ط دار الكب العلمية .

٢٥- **سر الفصاحة:** لابن سنان الخفاجى ت ٤٦٦هـ / ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢٦- **صحيح البخارى:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، ط/ دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ .

٢٧- **صحيح مسلم بشرح النووى:** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ ، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٨- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ت٨٥٠هـ، ط/ دار الكتب العلميه - بيروت .

٢٩- **فتح البارى شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/ دار المعرفة - بيروت، سنة ١٣٧٩هـ .

٣٠- **فى ظلال القرآن** : سيد قطب / ط دار الشرق - القاهرة / السابعة عشر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣١- **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر.** أبو هلال العسكرى ت ٣٩٥هـ / ط دار الكتب العلمية - بيروت / الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٣٢- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لمحمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٢٨هـ/ ط دار الكتاب العربى - بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ .

٣٣- **لباب النقول في أسباب النزول:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت .

٣٤- **اللباب في علوم الكتاب:** لأبى حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ت ٧٧٥هـ، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

٣٥- **لسان العرب:**لمحمد بن مكرم بن منظور / ط دار صادر - بيروت .

٣٦- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** للقاضى عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلى ت ٥٤٩هـ / ط دار الكتب العلمية - الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٣٧- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢١ هـ -

- ٢٠٠١ م .

٣٨- **مسند الدارمى المعروف بـ (سنن الدارمى):** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ت٢٥٥هـ، ط/ دار المغني- السعودية، الأولى١٤١٢هـ - ٢٠٠٠ م .

٣٩- **المعجم الأوسط:** لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبرانى٣٦٠هـ، ط/ دار الحرمين - القاهرة .

٤٠- **المعجم الفصل في شواهد اللغة العربية:** لإميل يعقوب / ط دار الكتب العلمية - بيروت / الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٤١- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الرازى/ ط دار إحياء التراث العربى - بيروت/ الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٤٢- **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**: لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ، ط/ الجفان والجابي - قبرص، الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٣- **الموسوعة القرآنية (خصائص السور)**: لجعفر شرف الدين، تحقيق عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط/ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، الأولى١٤٢٠هـ .

٤٤- نظم الدرر **في تناسب الآيات والسور**: لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى ت ٨٨٥هـ / ط دار الكتاب الإسلامى .

وغير ذلك من المصادر التي لم أذكرها اختصاراً .